

شافيز، إيفو وأوباما

إنني أتوقف عن المهام التي تغطي وقتي بكامله بهذه الأيام، حتى أكرس بعض الكلمات للفرصة الفريدة التي يوفرها العلم السياسي من خلال عقد الدورة السادسة عشر لجلسات الجمعية العامة للأمم المتحدة.

إن هذا الحدث السنوي يتطلب بذل جهود فريدة من نوعها من قبل أولئك الذين يتولون أعلى المسؤوليات السياسية في بلدان عديدة. إنه يمثل امتحانا قاسيا لهم؛ لهواة ذلك الفن، وهم ليسوا قلة ويؤثر ذلك الحدث على الجميع بشكل حيوي ويصبح من الصعب التجنب عن إغراء المراقبة على المشهد الذي لا نهاية له ولكنه تثقيفي.

أولا، ثمة عدد لا يحصى ولا يعد من القضايا الشائكة والصراعات على المصالح. ينبغي على عدد كبير من المشاركين اتخاذ الموقف بخصوص أحداث تمثل انتهاكات سافرة للمبادئ. على سبيل المثال: ما هو الموقف الذي سيتخذ تجاه أعمال الإبادة لحلف الناتو بليبيا؟ هل يريد أحد ما البرهان على أن حكومة بلاده، تحت قيادته، أيدت الجريمة الوحشية والفظيعة التي ارتكبتها الولايات المتحدة وحلفائهم بحلف الناتو، الذين قامت طائراتهم القتالية الحديثة، مع أو دون طيار، بأكثر من عشرين ألف هجوم ضد دولة صغيرة للعالم الثالث كانت لديها بالكاد ست ملايين نسمة، وذلك بحجة نفس الأسباب التي اعتمدوا عليها بالأمس للهجوم والغزو على بلاد الصرب وعلى العراق وأفغانستان واليوم يهددون بالقيام بذلك ضد سورية أو ضد أي بلد آخر بالعالم؟

أ لم تكن الولايات المتحدة، وهو البلد الذي يستضيف الأمم المتحدة، من أمر باقتراح مجزرة فيتنام ولاوس وكامبوديا وهجوم المرتزقة على خليج الخنازير بكوبا، والهجوم على سانتو دومينغو، وشن الحرب القذرة على نيكاراغوا، واحتلال غريناطة وباناما قبل القوات العسكرية للولايات المتحدة ومجزرة البينيين بمنطقة الشوريو؟ من شجع الانقلابات والأعمال الإبادة في تشيلي، بالأرجنتين والأوروغواي، التي أدت إلى عشرات الآلاف من الموتى والمفقودين؟ إنني لا أتحدث عن أمور جرت منذ 500 سنة، عندما شرع الاسبان الأعمال الإبادة بالقارة الأمريكية، ولم أعد إلى ما قبل 200 عام، لما كان اليانكي، أي الأمريكي، يقومون بتصفية الهنود (أي السكان الأصليين) للولايات المتحدة أو يستعيدون الأفارقة، رغم أن "جميع الرجال يلدون أحرارا ومتساوين" كما ينص عليه بيان فيلادلفيا. إنني أتحدث عن أحداث جرت بالعقود الأخيرة وعن التي تجري اليوم.

لا يمكن التخلي عن ذكر وتكرار هذه الأحداث أثناء حدوث فعلية بارزة ذات أهمية مثل الاجتماع الذي يعقد بمنظمة الأمم المتحدة حيث يجرب كمال، ثبات ونزاهة الحكومات وأخلاقيها.

يمثل عدد كبير من تلك الحكومات بلدان صغيرة وفقيرة محتاجة إلى تأييد وتعاون دولي، تكنولوجيا، أسواق، أرصدة، وهذا ما كانت تتعامل به كيفما تشاء الدول الكبرى الرأسمالية المتطورة.

على الرغم من الاحتكار الذي تمارسه بوقاحة ودون أدنى خجل وسائل الإعلام العامة ورغم الوسائل الفاشية التي تتصرف بموجبها الولايات المتحدة وحلفائها من أجل تضليل وخدعة لرأي العام العالمي، تزداد مقاومة الشعوب ومن الممكن ادراك ذلك من خلال مداولات الأمم المتحدة.

ليس قليل عدد زعماء العالم الثالث الذين هم، رغم العراقيل والتناقضات المشاركة إليها، قد طرحوا بشجاعة أفكارهم. حتى الأصوات ذاتها التي تصدر عن حكومات أمريكا اللاتينية والكاريبية لم تعد تتميز باللهجة المخجلة لأذنان منظمة الدول الأمريكية، والتي كانت اللهجة السائدة بخطابات رؤساء الدول بالعقود الماضية. وقد توجه إلى ذلك الملتقى رئيسا: كلاهما، الرئيس البوليفاري، هوغو شافيز، ويمتزج فيه العروق التي يتكون منها شعب فينيزويلا وإيفو موراليس، اصوله ناقية تعود إلى السكان الأصليين الذين يقطنون

البلد منذ آلاف السنين. وطرح كلاهما مفاهيمهما بذلك الاجتماع، أحدهما عن طريق رسالة والآخر بصوته الحي، ردا لخطاب الرئيس اليانكي.

بث قناة تيليسور الخطابات الثلاثة. بفضل ذلك استطعنا أن نعلم منذ ليلة يوم الثلاثاء 20 رسالة الرئيس شافيز، الذي قرأه بهدوء والتير مارتينيز ببرنامجه دوزبار. ألقى أبامه خطابه بصباح يوم الأربعاء كرئيس دولة للبلد المستضيف للأمم المتحدة وإيفو ألقى كلماته في الساعات الأولى من مساء نفس اليوم. من أجل الإيجاز سوف أورد فقرات أساسية لكل نص.

لم يكن بمقدور شافيز الحضور شخصيا بقمة الأمم المتحدة، بعد مرور 12 عاما من النضال دون راحة ولا يوم مما أوضع حياته بحالة الخطر وأثر على صحته. إنه أصبح يناضل بتفاني اليوم من أجل استعادة عافيته بالكامل. ومع ذلك، كان من الصعب أن لا تتعرض رسالته للموضوع الأكثر التهابا بالاجتماع التاريخي. أورد الرسالة تقريبا بكاملها:

"إنني أوجه هذه الكلمات إلى الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة، [...] حتى أؤكد، بهذا اليوم وبهذا المكان، على تأييد فنزويلا الكامل للاعتراف بالدولة الفلسطينية، بحق فلسطين في تحولها إلى بلد حر، مستقل، ذو سيادة، يتعلق الأمر بعمل عدالة تاريخية بشعب يحمل معه منذ الأبد كل ألم ومعاناة العالم".

"إن الفيلسوف الكبير الفرنسي غيلس ديليز، [...] يقول بقوة الحقيقة: "إن القضية الفلسطينية هي قبل كل شيء مجموعة الأعمال المجحفة التي كان هذا الشعب ولا يزال يعاني منها". وأنا أتجراً لأن أضيف: إنها كذلك الإرادة الدائمة والثابتة بالمقاومة التي أصبحت، هي الأخرى، مسجلة في الذكرى الباسلة للإنسان. [...] يحدثنا محمود درويش، بالصوت الذي لا نهاية لفلسطين الممكنة، إنه يحدثنا عن المشاعر بهذا الحب والوعي عنه: 'لا نحتاج إلى الذكريات/لأن جبل الكرمل فينا/وعشب الجليل بجفنا/لا نقول: لو كنا نجري ببلدي مثل النهر! لا نقول ذلك! لأننا بلحم بلدا / وهو بلحمنا'.

"أمام الذين يؤكدون بشكل كاذب أن الشعب الفلسطيني لم يعاني إبادة، فإن ديليز نفسه يقول بوضوح قاطع: 'جميع الحالات تتم محاولة التصرف مثلما لا ينبغي على الشعب الفلسطيني أن يكون موجودا، ليس هذا فحسب وإنما كأنه لم يكن موجودا أبدا. إنها، كيف نقول ذلك، إنها درجة الصفر من الإبادة: الإقرار بأن شعب ما ليس موجودا؛ أن ننفي حقه في الوجود".

"...يمر حل نزاع الشرق الأوسط، بالضرورة، بالإنصاف والعدالة مع الشعب الفلسطيني؛ ها هو الدرب الوحيد حتى يسود السلام.

"من المؤلم ومن المغضب أن أولئك الذين عانوا من إحدى أسوأ الإبادات في التاريخ، قد تحولوا إلى جلادي الشعب الفلسطيني: من المؤلم ومن المغضب أن الهلكست أورثت النكبة. من المغضب أن الصهيونية ما زالت تعتمد على الابتزاز بالاسامية ضد الذين يعارضون ظلمهم، تعسفهم وجرائمهم. إن إسرائيل بفصاحة وبحقارة حولت إلى أداة استذكار الضحايا للعمل، دون عقوبة إطلاقا، ضد فلسطين. بالمناسبة، يجدر التدقيق بأن الاسامية بؤس غربي، أوروبي، ولم يشارك العرب بذلك. ينبغي علينا أن لا ننسى أن الشعب السامي الفلسطيني هو الذي يعاني من النطافة العرقية التي تمارسها الدولة الصهيونية الاستعمارية ضده".

"... إن رفض الاسامية شيء وهناك شيء آخر مختلف تماما وهو أن نقبل مكتوفي الأيدي أن تفرض الوحشية الصهيونية نظام أبارتهيد (تفرقة عنصرية) على الشعب الفلسطيني. من الناحية الأخلاقية، من يرفض الاسامية ينبغي عليه إدانة تلك التفرقة العنصرية".

"... إن الصهيونية، كروية للعالم، عنصرية تماما. إن هذه الكلمات لغولدا ماير، بسخرتها المرعبة، تشكل خير البرهان على ذلك:

'كيف راح نعيد الأراضي المحتلة؟ ليس هناك أحد لمن نرد له إياها. لا وجود لشيء يطلق عليه فلسطينيون. لم يكن الأمر كما كان يجري التفكير به عن وجود شعب يسمى فلسطيني، شعب يعتبر نفسه كالشعب الفلسطيني وأنا وصلنا، طردناه وأخذنا منه بلده. إنهم لم يكونوا موجودين'."

"فليقرأ ويقرأ من جديد تلك الوثيقة المعروفة تاريخيا كتصريح بلفور لعام 1917: كانت الحكومة البريطانية تدعى لنفسها حق التعهد مع اليهود على الوطن القومي بفلسطين، حيث كانت تتجاهل قصدا وجود وإرادة سكانها. لا بد من الإضافة أنه في الأرض المقدسة تعايشت بسلام مسيحيون ومسلمون إلى أن بدأت الصهيونية تطالبها بملكيتها لها فقط بكاملها'."

"بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، كانت ستتأزم مآسا الشعب الفلسطيني، حيث جرى طرده من أرضه وبنفس الوقت، من التاريخ. في عام 1947 القرار 181 للأمم المتحدة، غير الشرعي والمشؤوم، أوصى بتقسيم فلسطين إلى دولة يهودية، دولة عربية ومنطقة تحت رقابة دولية (القدس وبيت لحم). وقد منح، [...] 56 % من الأرض للصهيونية من أجل إقامة دولتها. في الواقع، كان هذا القرار ينتهك القانون الدولي وكان يتجاهل بشكل سافر إرادة الأكثرية الساحقة للعرب: هكذا كان حق تقرير مصير الشعوب تتحول إلى خبر على ورق'."

"... عكس ما تسعى إسرائيل والولايات المتحدة إلى جعل العالم يؤمن به، من خلال الشركات متعددة الجنسيات للإعلام، ما جرى وما زال يجري بفلسطين، ونقول ذلك مع سعيد، ليس نزاع ديني: إنه نزاع سياسي، بختم استعماري وامبريالي. إنه ليس صراع يرجع إلى آلاف السنين، بل وإنما هو معاصر؛ إنه صراع لم يلد بالشرق الأوسط بل وإنما في أوروبا'."

"ما هو الذي كان ولا يزال جوهر النزاع؟ يعطى الأولوية للنقاش والأخذ بالاعتبار أمن إسرائيل ولا يؤخذ بالحسبان أمن فلسطين. هكذا يمكن التأكد من ذلك في التاريخ مؤخرا: يكفي بذكر الحدث الإبادة الجديد الذي سببه إسرائيل من خلال عملية 'الرصاصة المسكوبة' في غزة."

"لا يمكن لأمن فلسطين أن يقتصر على مجرد الاعتراف بحكم ذاتي محدود ورقابة ذاتية للشرطة في 'مواقعها' في الضفة وقطاع غزة، دونما تؤخذ بالحسبان ويبقى خارج الاعتبار ليس فحسب إقامة الدولة الفلسطينية في الحدود السابقة لعام 1967، مع القدس الشرقية كالعاصمة، والحقوق الوطنية وحق تقرير المصير كشعب، بل وإنما كذلك تعويضات اللاجئين وعودة 50 % من سكان فلسطين إلى وطنهم، وهم حاليا متشردون بالعالم بأكمله، كما ينص على ذلك القرار 194."

"لا يصدق أنه بلد (إسرائيل) موجود بفضل قرار من الجمعية العامة ولا يهتم ولا يبالي بقرارات الأمم المتحدة، كما استنكر ذلك الكاهن ميغيل ديسكوتو لما كان يطالب بإنهاء المجزرة ضد شعب غزة في أواخر عام 2008 وبداية 2009'."

"لا يمكن تجاهل الأزمة التي تعيشها الأمم المتحدة. أمام هذه الجمعية العامة نفسها اشرنا بعام 2005 إلى أن نموذج الأمم المتحدة لم يعد صالحا. تأجيل المداولات حول القضية الفلسطينية وتخريبها بشكل صريح يؤكد على ذلك مجددا."

"منذ عدة أيام، واشنطن تقول أنها ستستخدم الفيتو ضد القرار الذي سيحظى بتأييد أكثرية أعضاء الجمعية العامة: الاعتراف بفلسطين كعضو كامل للأمم المتحدة. إلى جانب الأمم الشقيقة التي تشكل التحالف البوليفاري لشعوب قارتنا الأمريكية (ألبا) في تصريح الاعتراف بالدولة الفلسطينية، قد شجبنا من الآن إمكانية محاصرة مثل هذا الطموح العادل. مثلما نعلم، تسعى الإمبراطورية بهذه الحالة وبحالات أخرى، إلى فرض ازدواجية التصرف والمقاييس على الصعيد العالمي: إنها الازدواجية الأمريكية التي تنتهك بها القانون الدولي في ليبيا، ولكنها تسمح أن تعمل إسرائيل ما تشاء، وهكذا تتحول إلى أهم شريكة في الإبادة الفلسطينية على أيدي الوحشية الصهيونية. لنتذكر كلمات سعيد التي تضع الاصبع في الجرح: 'نتيجة لمصالح إسرائيل بالولايات المتحدة إن السياسة

الأمريكية تجاه الشرق الأوسط تنطلق من زاوية إسرائيل".

"أود أن أنتهي بصوت محمود درويش في قصيدته المشهورة: 'فوق هذه الأرض: فوق هذه الأرض شيء يستحق العيش: فوق هذه الأرض سيدة الأرض، أم البداية وأم النهاية. كان ولا يزال اسمها فلسطين. سيدتي لأنك سيدتي، أنا أستحق الحياة'".

"سيبقى اسمها فلسطين. ستعيش وستنتصر فلسطين! عاشت فلسطين الحرة، المستقلة، ذات السيادة!

"هوغو شافيز فرياس

"رئيس جمهورية فينيزويلا البوليفارية".

عندما بدأ الاجتماع صباح اليوم التالي كانت كلماته قد تم إرسالها في قلب وعقل المجتمعين.

لم يكن أبدا الزعيم البوليفاري عدوا للشعب اليهودي. إنه رجل لديه حساسية خاصة. كان يكره من أعماق القلب الجريمة الوحشية المقترفة من قبل النازية ضد الأطفال، النساء، الرجال، الشباب، والشيوخ في المعتقلات حيث كان العجرايض ضحايا لجرائم شنيعة ومريعة إلى أن تمت محاولة تصفيتهم ومع ذلك لا أحد يتذكرهم ولا يتم ذكر ذلك أبدا. كما أن مائات آلاف من الروس ماتوا بتلك المعتقلات لأنهم حسب المفهوم العرقي النازي كانوا ينتمون إلى عرق متدني.

عندما عاد شافيز إلى بلده، آتيا من كوبا، ليلة يوم الخميس 22 أيلول/ سبتمبر، تعرض بغضب للخطاب الذي ألقاه باراك أوباما بالأمم المتحدة. نادرا ما سمعته وهو يحكي بخيبة الآمال مثل هذه عن زعيم كان يعامله بدرجة من الاحترام، كضحية التاريخ ذاته للتمييز العنصري بالولايات المتحدة. لم يعتبره أبدا قادرا على التصرف مثلما كان جورج بوش سيتصرف، وكان يحمل باحترام ذكريات عن الكلمات والمبادلة وإياه باجتماع ترينيداد وتوباغو.

"أبارحة كنا نستمع إلى مجموعة من الخطابات، وكذلك قبل أبارحة، التي ألقى هناك بالأمم المتحدة، خطابات دقيقة مثل الذي ألقته الرئيسة ديلما روسيف، خطاب ذو قيمة أخلاقية عالية كخطاب الرئيس إيفو موراليس، خطاب يمكننا وصفه كسخرية هائلة، إن خطاب الرئيس أوباما يمكن اعتباره نصب تذكاري للسخرية وكان يكشفه وجهه نفسه، فوجهه كان يعبر عن قصيدة؛ رجل يدعو إلى السلام، تصور أنت. أوباما يدعو إلى السلام، اعتمادا على أي أخلاق؟ إن خطاب أوباما بمثابة نصب تذكاري تاريخي للسخرية.

"إننا كنا نستمع إلى خطابات دقيقة، توجيهية: الذي ألقاه الرئيس لوغو، خطاب رئيسة الأرجنتين وهما كانا يحددان مواقف جريئة أمام العالم".

عندما بدأ اجتماع نيو جورك في صباح يوم الأربعاء 21 أيلول/ سبتمبر، توجه رئيس الولايات المتحدة - بعد كلمات رئيسة البرازيل التي التي بدأت المداولات، وبعد التقديم الضروري- إلى المنصة وبدأ يلقي خطابه.

"على مدى حوالي سبعة عقود، -بدأ يقول- وحتى عندما حالت الأمم المتحدة دون نشوب حرب عالمية ثالثة، لا نزال نعيش في عالم

مزقته الصراعات ويعاني من الفقر. حتى وعندما نعلن حبنا للسلام وكراهيتنا للحرب، هناك تشنجات في عالمنا وهي تشكل خطراً علينا جميعاً".

لا يعرف ما هي اللحظة التي فيها، حسب تقدير أوباما، حالت منظمة الأمم المتحدة دون نشوب الحرب النووية الثالثة.

"تسلمت منصبي في وقت كانت فيه الولايات المتحدة تخوض حربين. حرب ضد التطرف أوصلتنا إلى الحرب؛ أولاً، أسامة بن لادن ورجال تنظيم القاعدة، كانوا لا يزالون طليقين. أما اليوم، فقد حددنا اتجاهًا جديدًا. في نهاية هذا العام، سوف تنتهي العمليات العسكرية الأميركية في العراق. وستكون لدينا علاقة طبيعية مع دولة ذات سيادة هي عضو في الأسرة الدولية. وسيتعزز هذا التحالف من خلال تقوية العراق وقواته الأمنية، حكومته وشعبه وكذلك تطلعاته".

عن أي بلد يتحدث أوباما في الحقيقة؟

"وعندما تنتهي الحرب في العراق، سوف تبدأ الولايات المتحدة وحلفائها المرحلة الانتقالية في أفغانستان. لدينا بلد بأفغانستان قادر على تولي مسؤولية المستقبل فيه وفي هذه الأثناء سنقوم بسحب قواتنا، بينما نبني تحالف تضامني مع الشعب الأفغاني. ينبغي إذن أن لا يبقى شك في أن وتيرة الحرب تتراجع.

"فعندما تسلمت منصبي، كانت هناك آلاف من الأميركيين يخدمون في العراق وأفغانستان. وبحلول نهاية هذا العام، سيتم خفض هذا العدد إلى النصف، وسيستمر في الانخفاض. وهذا الأمر أساسي بالنسبة لسيادة العراق وأفغانستان. وهو أيضاً بالغ الأهمية بالنسبة لتعزيز الأمم المتحدة والولايات المتحدة، بينما نبني وطننا بالذات، علاوة على ذلك، إننا نخرج من هناك وموقفنا قوي. فقبل عشر سنوات، كان هناك جرح مفتوح وأعمدة حديد ملتوية وقلب منكسر في وسط هذه المدينة. أما اليوم، يرمز ارتفاع البرج الجديد، تجدد نيويورك، اليوم تمارس على القاعدة الضغوط أكثر من أي وقت مضى. وقيادتها تعرضت لضربة قاصمة. ولن يخضع أسامة بن لادن، الرجل الذي قتل الآلاف من الناس في عشرات البلدان، للخطر السلام في العالم مرة أخرى".

مع من تحالف بن لادن، من دربه وسلحه في الحقيقة، حتى يقاتل السوفييات في أفغانستان؟ لم يقم بذلك الاشتراكيون، ولا الثوار في أي بقعة من المعمورة.

"لقد كان هذا العقد صعباً جداً، [...] لكننا اليوم، نقف على مفترق طرق التاريخ مع وجود فرصة للسير بطريقة حاسمة في اتجاه السلام. وللقيام بذلك، يجب أن نعود إلى حكمة أولئك الذين أسسوا هذه المؤسسة. إذ إن الأمم المتحدة وميثاقها يدعونا إلى رص صفوفنا للمحافظة على السلام والأمن الدوليين".

من لديه قواعد عسكرية في سائر انحاء العالم، من هو أكبر مصدر للأسلحة، من لديه مائات من الأقمار الصناعية بغية التجسس، من يستثمر مليون ملايين من الدولارات سنوياً في المصروفات العسكرية؟

"فقد كان هذا العام فترة للتحويلات الكبيرة. وتقدمت المزيد من الأمم للحفاظ على السلام والأمن الدوليين. ويطالب المزيد من الأفراد بحقوقهم في العيش بحرية وبسلام".

يذكر فيما بعد حالي السودان الجنوب وساحل العاج ولا يقول أنه في البلد الأول اندفعت الشركات اليابانية على الاحتياط البترولي لذلك البلد الجديد، الذي، صرح رئيسه بجمعية الأمم المتحدة نفسها أنه مورد قيم ولكنه ينضب واقترح الاستفادة منه بشكل عقلائي وبأفضل طريقة ممكنة.

ولم يشر أوباما أيضا إلى أن السلام في ساحل العاج تحقق بتأييد الجنود الاستعماريين لعضو بارز لحلف الناتو المولعة بالقتال والتي قامت بقذف آلاف القنابل على ليبيا.

يذكر بعد قليل تونس وينسب إلى الولايات المتحدة فضل الحركة الشعبية التي أسقطت حكومة تلك البلد التي كانت حليفة للامبرالية.

والمفاجئ أكثر إلى حد الآن أن أوباما يحاول أن يتجاهل مسؤولية الولايات المتحدة باقامة النظام الطغياني والمتفلسد لحسني مبارك في مصر، الذي خان مبادئه ناصر بشكل معيب وتحالف مع الامبرالية، سرق عشرات المليارات وفرض الطغيان على هذا الشعب الشجعان.

"ومنذ سنة، -يؤكد أوباما- كانت مصر لديها رئيساً واحداً منذ حوالي ثلاثين عاماً. ولكنه كانت أعين العالم طلعت على مدى 18 يوماً مركزة على ميدان التحرير، حيث تجمع المصريون من جميع قطاعات ومناحي المجتمع، شباباً وأطفالاً، ونساءً، ورجالاً، ومسلمين ومسيحيين، ليطالبوا بحقوقهم الإنسانية العالمية. وأينا في أولئك المتظاهرين القوة الكامنة للأعمال الخالية عن العنف الذي أوصلنا من نيودلهي إلى سلمى، وأينا أن التغيير جاء إلى مصر والعالم العربي بالوسائل السلمية".

"وبوماً بعد يوم، وبمواجهة الرصاص والأسلحة، أبى أبناء الشعب الليبي التخلي عن حريته. وعندما تعرضوا للتهديد بفضائع جماعية، التي كنا نشاهدها مرارا في القرون الأخيرة، احترمت الأمم المتحدة ميثاقها. ففوض مجلس الأمن باتخاذ جميع التدابير اللازمة لمنع وقوع مذبحة في ليبيا. وطالبت الجامعة العربية بالقيام بهذا التدخل، وتشكل تحالف وتآلف للحيلولة دون تقدم قوات القذافي.

"البارحة، تبوأ قادة ليبيا الجدد مكانهم بجانبنا، وفي هذا الأسبوع، تعيد الأمم المتحدة والولايات المتحدة افتتاح سفارتيهما في طرابلس.

"هذه هي الطريقة التي يُفترض أن تعمل بموجبها الأسرة الدولية: فلتتحد الأمم من أجل السلام والأمن، والأفراد الذين يطالبون بحقوقهم.

"نتحمل جميعاً المسؤولية لدعم ليبيا الجديدة، الحكومة الليبية الجديدة التي تواجه تحدي تحويل هذا الوعد إلى بركة لجميع الليبيين".

"نظام القذافي انتهى. غابغو، وابن علي، ومبارك لم يعودوا في السلطة. أسامة بن لادن انتهى، والفكرة القائلة بأن التغيير لا يأتي إلا من خلال العنف قد دُفنت معه".

لاحظوا الطريقة الشعرية التي من خلالها يحل أوباما موضوع بن لادن، مهما كانت المسؤولية التي تقع على أكتاف هذا الحليف القديم، الذي تم الحكم عليه بالاعدام عن طريق إطلاق رصاص على وجهه أمام زوجته وأبنائه ورموه إلى البحر بعد ذلك من حاملة طائرات، تجاهلا بالعادات والتقاليد الدينية لأكثر من مليار مؤمن ولأدنى مبادئ قانونية أقرتها كل الأنظمة الجنائية. مثل هذه الوسائل لا ولن تؤد أبدا إلى تحقيق السلام.

"هناك شيء ما يحدث في عالمنا يكمل بالنسبة الى ليبيا-طريقة العمل هذه هي التي ستسود في المستقبل. وقبضة الطغيان قد انتهت. وقد أصبح الطغاة المستبدون تتجاهلهم. إن السلطة بيد الشعب. ويرفض الشباب الديكتاتورية، ويرفضون الكذبة القائلة بأن بعض العروق والأديان والأقوام لا يستحقون الديمقراطية.

"وأصبح الوفاء بالعهد المكتوب على الورق بأن جميع الناس يولدون أحرارا ومتساوين في الحقوق أقرب من تجسيده [...] يقدر النجاح بما إذا كان الناس يستطيعون العيش بحرية، وكرامة، وأمن مستدام. ويجب على الأمم المتحدة والدول الأعضاء فيها القيام بالأعمال الضرورية لدعم هذه التطلعات الأساسية. وهناك المزيد من العمل الذين يجب علينا القيام به [...]".

فورا يهاجم على بلد مسلم آخر، حيث، كما هو معلوم، أجهزتها الاستخبارية، إلى جانب الأجهزة الاسرائيلية تقوم باغتيال ابرز علماء التكنولوجيا العسكرية بشكل منتظم.

ثم يهدد سورية، حيث العدوانية اليانكية يمكنها أن تؤدي إلى مجزرة أفزع وأقطع من مجزرة ليبيا: "واليوم، يتعرض الرجال والنساء والأطفال للتعذيب والاعتقال والقتل على يد النظام السوري؛ فقد قُتل الآلاف من الناس، والكثير منهم خلال شهر رمضان المقدس. وتدفق آلاف آخرون عبر الحدود السورية.

"وقد أظهر الشعب السوري الكرامة والشجاعة في سعيه لتحقيق العدالة، يحتجون سلميا، ويموتون في سبيل نفس القيم التي يفترض أن تدافع عنها هذه المؤسسة. والسؤال بالنسبة لنا واضح: هل نقف إلى جانب أبناء الشعب السوري، أم إلى جانب مضطهديهم؟ لقد فرضت الأمم المتحدة عقوبات قوية على القادة السوريين. وأيدنا عملية انتقال السلطة التي تستجيب لرغبات الشعب السوري. وقد انضم إلينا في هذا الجهد العديد من حلفائنا. ولكن لصالح سوريا والسلام والأمن في العالم يجب أن نتكلم بصوت واحد: لا يوجد أي مبرر للتقاعس عن العمل. الآن هو الوقت المناسب لمجلس الأمن الدولي لفرض العقوبات على النظام السوري، والوقوف مع الشعب السوري".

يا ترى، هل بقي هناك أي بلد خارج التهديدات السفاكة لهذا المدافع الموقر عن الأمن والسلام الدولي؟ من أعطى للولايات المتحدة مثل هذه الصلاحيات؟

"وفي سائر أنحاء المنطقة، علينا أن نستجيب إلى دعوات التغيير. ففي اليمن، يتجمع الرجال والنساء والأطفال في ساحات المدن يومية بأمل أن تؤدي قوة تصميمهم وعزمهم ودمائهم التي أريقَت إلى تغيير. يدعم الشعب الأمريكي هذه التطلعات. لذلك يجب علينا أن نعمل مع جيران اليمن وحلفائنا في العالم من أجل التوصل إلى المسار الذي يسمح بالانتقال السلمي للسلطة من الرئيس صالح، وإجراء انتخابات حرة ونزيهة في أقرب وقت ممكن.

"وفي البحرين، تم اتخاذ اجراءات في اتجاه الإصلاح والمساءلة. نحن مسرورون بذلك، ولكن المطلوب أكثر بكثير. إننا أصدقاء للبحرين، وسوف نستمر في مطالبتنا من الحكومة والمعارضة بالسعي من أجل إجراء حوار جاد يؤدي إلى تغييرات سلمية تستجيب لتطلعات الشعب. ونحن نعتقد أن الوطنية لدى البحرينيين أقوى من الطائفية التي تفرقهم. إنه أمر صعب ولكنه قابل للتحقيق".

لا يذكر إطلاقاً وجود إحدى أكبر القواعد العسكرية في المنطقة ولا أيضاً أن الشركات اليابانية متعددة الجنسيات تراقب على أكبر احتياط البترول والغاز للعربية السعودية والإمارات العربية ولا أنها تستخدمه كيفما تشاء.

"نعتقد بأن كل دولة يجب أن تحدد مسارها الخاص بها لتحقيق تطلعات أبناء شعبها، وأميركا لا تتوقع أن تتفق مع كل طرف أو مع شخص يعبر عن نفسه سياسياً. ولكننا سندافع دائماً عن الحقوق العالمية التي احتضنتها هذه الجمعية. تعتمد هذه الحقوق على انتخابات حرة ونزهة، وحكم يتسم بالشفافية والمساءلة، واحترام حقوق المرأة والأقليات، والعدالة المتساوية والمنصفة. هذا هو ما تستحقه شعوبنا. وهذه هي عناصر السلام الدائم".

"... فإن الولايات المتحدة سوف تواصل دعم تلك الدول التي تمر بمرحلة التغيير الديمقراطي، من خلال زيادة التجارة والاستثمار، بحيث تأتي الفرص بعد هذه الحرية. وسوف نبقي ملتزمين بالحكومات، ولكن أيضاً مع المجتمع المدني، الطلاب ورجال الأعمال، والأحزاب السياسية والصحافة ووسائل الإعلام.

"وقد قمنا بإدانة الذين ينتهكون حقوق الإنسان ولا يسمحون بتطبيقها بتلك البلدان، وعاقبنا أولئك الذين ينتهكون حقوق الإنسان. وسوف نرفع دائماً صوتنا إلى جانب الذين أجبروا على الصمت".

بعد هذا الخطاب المنمق الطويل يدخل صاحب جائزة النوبل الموقر بالقضية الشائكة المتمثلة بتحالفه مع إسرائيل، التي، بالمناسبة لا تظهر بين أصحاب الامتياز مالكي إحدى أحدث نظم الأسلحة النووية والوسائل القادرة على الوصول إلى أهداف بعيدة. وهو يعلم تماماً كم هي تعسفية وغير شعبية هذه السياسة.

"والآن أنا أعلم، خاصة في هذا الأسبوع، أن هناك مسألة تقف بمثابة اختبار لهذه المبادئ، واختبار للسياسة الخارجية الأميركية، وهي النزاع بين الإسرائيليين والفلسطينيين الذي ما زال قائماً.

قبل عام واحد، وقفت على هذه المنصة ودعوت إلى فلسطين حرة. اعتقدت حينئذ، كما أعتقد الآن، أن الشعب الفلسطيني يستحق دولة خاصة به. ولكن ما قلته أيضاً هو أن السلام الحقيقي لا يتحقق سوى بين الإسرائيليين والفلسطينيين أنفسهم. وبعد عام، وعلى الرغم من الجهود المكثفة التي بذلتها أميركا وغيرها، لم يقم الطرفان بحل خلافتهما. وبمواجهة هذا المازق، طرحت أساساً جديداً للمفاوضات في شهر أيار/مايو من هذه السنة. وكان ذلك الأساس واضحاً، ومعروفاً لنا جميعاً هنا. يجب أن يعلم الإسرائيليون أن أي اتفاق سينص على ضمانات لأمنهم. والفلسطينيون يستحقون أن يعرفوا حدود أرض دولتهم. والآن، أنا أدرك أن العديد يشعرون بالإحباط لعدم إحراز تقدم. وأطمئنكم، أنا أيضاً. ولكن السؤال ليس هو الهدف الذي نسعى إليه - السؤال هو كيفية الوصول إلى هذا الهدف".

"إن السلام يتطلب عمل كبير ولن يأتي من خلال البيانات والقرارات في الأمم المتحدة، فلو كان بهذه السهولة، لكان تحقق قبل الآن. وفي نهاية المطاف، ينبغي على الإسرائيليين والفلسطينيين أن يجلسوا ويتفاوضوا، هم الذين راح يعيشون جنباً إلى جنب. فإن الإسرائيليين والفلسطينيين، وليس نحن، هم الذين يتعين عليهم التوصل إلى اتفاق بشأن المسائل التي تفرق بينهم حول الحدود، وحول اللاجئين والقدس. فإن السلام يعتمد على الاتفاق ما بين أولئك الذين ينبغي عليهم العيش سوية بعد الانتهاء من إلقاء خطبتنا وبعد ما يجري تصويتنا".

يستطرد بما يلي بخطاب منمق طويل بغية تأويل وتبرير ما هو غير قابل للتأويل وغير قابل للتبرير.

"... ولا شك في أن الفلسطينيين مدركون أن تلك الرؤيا قد تأخرت زمنا طويلا جدا. وبالضبط، ولأننا نؤمن بتطلعات الشعب الفلسطيني فإن أميركا وظفت الكثير الكثير من الوقت والمجهود في بناء دولة فلسطينية وفي المفاوضات التي يمكن أن تحقق قيام دولة فلسطينية. ولكن، كونوا مدركين أيضا أن التزام أميركا بأمن إسرائيل لا يتزعزع وصادقتنا مع إسرائيل عميقة ودائمة".

"لقد أقام الشعب اليهودي دولة ناجحة، وإسرائيل جديرة بالاعتراف، وهي جديرة بعلاقات طبيعية مع جاراتها. وأصدقاء الفلسطينيين لا يخدمونهم بإنكارهم هذه الحقيقة.

"... أن لكل جانب تطلعات مشروعة، وهذا جزء مما يجعل السلام صعب المنال هكذا ولن نصل الى المفاوضات النهائية إلا حينما يتعلم كل جانب أن يقف مكان الآخر. أي كل جانب يمكنه أن يرى العالم من خلال أعين الجانب الآخر. وهذا ما يجب تشجيعه".

في غضون ذلك، ما زال الفلسطينيون منفيون في وطنهمذاتهم، تدمر بيوتهم من قبل آلات ميكانيكية مرعبة وهناك جدار الحقد، أعلى بكثير من جدار بيرلين يفصل ما بين الفلسطينيين ويفرقهم. أفضل شيء كان بإمكان أوباما الاعتراف به هو أن المواطنين الاسرائيليين أنفسهم قد تعبوا من تبذير الموارد المستثمرة عسكريا، مما يؤدي إلى انعدام السلام ويحول دون الحصول على الوسائل الأساسية للحياة. إنهم مثل الفلسطينيون يعانون من عواقب هذه السياسات المفروضة من قبل الولايات المتحدة والعناصر المتحاربة أكثر والأكثر رجعية لدى الدولة الصهيونية.

"بينما نواجه هذه النزاعات وهذه الثورات، ينبغي علينا الاعتراف والتذكير بأن [...] السلام الحقيقي يعتمد على إيجاد الفرصة التي تجعل الحياة جديرة بالعيش. وكى نفعل ذلك، علينا مجابهة الأعداء المشتركين للبشرية: الأسلحة النووية والفقر؛ والجهل والمرض".

من يفهم هذه الرطانة التي يلتجئ إليها رئيس الولايات المتحدة أمام الجمعية العامة؟

ومباشرة يطرح فلسفته التي لا يمكن فهمها:

"لنواجه خطر الدمار الشامل، علينا أن نناضل من أجل عالم خال من الأسلحة النووية. فعلى مدى العامين الماضيين بدأنا المضي في ذلك المسار. ومنذ انعقاد قمة واشنطن العديد من الدول اتخذت خطوات لتأمين المواد النووية حتى تحتم من الإرهابيين".

هل هناك امكانية لإيجاد ارهاب أكبر من السياسة العدوانية والمتحاربة لبلد الذي بمخازن اسلحته النووية يستطيع أن يدمر عدة مرات الحياة البشرية بهذا الكوكب؟

"وستتابع أميركا العمل من أجل تحريم التجارب بالأسلحة النووية وخطر إنتاج المواد الانشطارية الضرورية لتصنيعها"، ما زالت أوباما يعهدنا بذلك، ويتابع "وقد بدأنا إذن التحرك في الاتجاه الصحيح والولايات المتحدة ملتزمة بالوفاء بتعهداتنا. ولكن حتى حينما نفي بتعهداتنا ننتظر من المؤسسات مساهمتها في الحد من انتشار هذه الأسلحة. [...] لم تستطع إيران الاثبات بأن برنامجها سلمي".

مرة أخرى يكرر نفس الشيء! ولكن، بهذه المرة إيران ليست وحيدة؛ ترافقها جمهورية كوريا الديمقراطية.

"ينبغي على كوريا الشمالية اتخاذ المزيد من الإجراءات لتقليص أسلحتها وعليها كذلك أن تقلل أعمالها العدوانية ضد الجنوب. وهناك مستقبل من الفرص العديدة لشعبي هاتين الدولتين إذا لبث حكومتاهما التزامتهما، أما إذا واصلتا سيرهما في طريق خارج القانون الدولي فسيتعين الرد عليهما بممارسة المزيد من الضغوطات والأعمال لعزلهما. ولذلك تفرض علينا التزاماتنا تجاه متطلبات السلام والأمن العمل بهذه الطريقة".

يُتبع غدًا.

فيدل كاسترو روز

25 أيلول/سبتمبر 2011

الساعة: 7:36 مساءً

تاريخ:

25/09/2011

Source URL: <http://www.fidelcastro.cu/ar/articulos/shfyz-yfw-wwwbm>